

صلاح ستيتية... صلاح ستيتية..



في 1951، تمنحه الدولة الفرنسية منحة لاستكمال دراسته الجامعية في السوربون، ويتبع بشكل مواز دروس المستعرب الفرنسي لوي ماسينيون في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا والكوليج دو فرانس. بداية من 1953، يدخل مضممار الصحافة الفرنسية، من خلال مجلة «الآداب الجديدة»، لصاحبها موريس نادو؛ ما سمح له بالاندماج في الحياة الثقافية الباريسية ومصادقة أهم الشعراء والفنانين المقيمين فيها: بيار جان جوف، أندري بيار دو ماندبارغ، إيف بونغوا، زاو يو كي، بيار الشنسي، أنطوني تاجيش، هنري ميشو وإميل سيوران في 1955، يعود إلى بيروت، ويشغل في التدريس في الأكاديمية

اللبنانية للفنون الجميلة، ثم في المدرسة العليا للآداب بالجامعة اللبنانية. ومثلما أسهم أنسي الحاج وشوقي أبي شقرا في تأسيس الملحق الثقافي لـ «النهار»، أسس ستيتية الملحق الأسبوعي الأدبي والثقافي لـ «لوريان»، حيث بقي مديراً له حتى 1961. ووفق تقليد سار عليه الشعراء - ذلك أن بين القصيدة والسفارة الكثير من الكلام تلميحاً، والنبرة الخافتة وإعطاء الكلمة حقها بتقدير بالغ - دخل ستيتية السلك الدبلوماسي، على خطى سان جون بيرس ونيرودا واكتافيو بات؛ مستشاراً ثقافياً للبنان في باريس وأوروبا الغربية، ومدوناً دائماً للبنان في الـ «نيونيسكو» ثم سفيراً في هولندا فالغرب؛ لينتهي به المطاف أميناً عاماً لوزارة الخارجية اللبنانية في بيروت. سيرة حياة ستيتية «متجول» في عبارته: «متجول كبير بين الحلم والفعل»، كان مساز الكتابة عند ستيتية دوماً

●●
راوح بين الكتابة بلغة فرنسية حديثة والاعتراف من تقاليد الثقافة العربية الإسلامية
 ●●

المحروس» (1973)، «الوجود الدمية» (1983)، نقلها أدونيس إلى العربية، (1983)، «الجانب الآخر المحترق من الأصفى» (1992)، إلى جانب كتابه الأساسي: «الرامي الأعمى» (1986)، الجامع بين النص المفتوح والدراسة الأدبية والنقد الفني، وللشاعر أيضاً مجموع كرايس شذرية لها في «كُراسات المُأَمَّل» (2003)، مساز غني ومركب لخصه إيف بونغوا بتعبيره: «أعمال ستيتية رغبة متيقظة في الإيمان بكلمة الشعر».

مقتطفات

١- افكار للنفسى

ثمة مناخات ينبغي أن تمنع فيها الحروب الأزرق وطن.

الشعر احترق لا يفهم ولا يخبو.

أحمل همة للبيساني، كل صباح، ثناء الزهور الضامات.

نقيم في ظلال عقدا كما لو تحت فرشة، والبحر قبالتنا.

تتيح لنا الثقافة أن نخرز له لدى الآخرين. ينبغي أن تفعل ذلك دون الإصرار ببساتينهم.

ارتمت في المحبرة هرباً من العرق.

ثمة جنون يحوم وسط الحضارات، هو من يلهمها، وهو، أيضاً، من يحطمها.

الزوايا صورة شمسية للقلب والشعر، تخطيطات الزوج.

بحدث لنا، مستدين إلى جدار، أن نتمكّن من تحطيم الثلاثة الآخرين التي تشكل سجننا لنا.

أن تقف على ضفاف نفسك - تلك البحيرة العميقة - وتصطاد بقصبة.

هذا اليوم مخصص للبيستنة، أضفت غصيناً إلى روحي.

الحياة موسيقى ترقص على خيط شفرة سكين.

على صفحة النهار الناصعة، أكتب بقطع من فحم، خربشات على جدار.

الإنسان قرد فاشل.

يموت المبالغون مع سنّ البلوغ، ثمّ يواصلون تقدّمهم في السنّ.

●●●

ب- حفلة جنون، سيرة

قسطنطين برانكوزي - التقيته مرّة واحدة، حوالي سنة 1954، ثلاث سنوات قبل وفاته، في مشغله في مونبارناس، مشغله المتروح بقناتي الشامانيا حتى أسفل الفراش، وهو بهاء بلنغ بحرف الغين الفرنسي: «الله شجرة بالغة الكبر عند قدم هذه الشجرة، ثمة ذئب يفترس حملاً. ولا ورقة من الشجرة يرفّ لها جفن».

الإسم موسى الصدر، ذو العينين الجميلتين المتقدتين والضافيتين، أنهرني ببعض الجلال في طريقة حديثه بعربية فصيحة راقية ذات لكنة فارسية، مع أفق رحب من مرجعيات ثقافية، متعدّدة ودقيقة في الوقت نفسه. اقتطف له من دوستوفسكي، فيحذّثني عن كتابه «ذكريات بيت الموتى». اقتطف له من باسكال، فيحذّثني عن صاحب «أفكار»، مقارناً بين مظاهر من أعماله مع روعة «نهج البلاغة» للإمام علي.

ما يجعل الوضع متعزراً على الحل في الشرق الأوسط، وغير قابل للوجود حتى اليوم، هو أن كل فريق يدافع فيه، على التوالي، عن حضنة من الأرض وحضنة من السماء. يليق بنا، ذات يوم، أن نضع الله بين قوسين. (حفلة جنون، ص. 388)

●●●

ج- قرانك وفردة

مكيدة الموت في أنها توهمننا بوجودها امامنا، في أنها تفتح وتعيد الطريق. في حين أنها وراءنا، تتعقب خطانا وتحط - شاردة الذهن - طفلاً فوق ظهرنا.

ما من شك أنه علينا أن نحب ذواتنا قليلاً كي نكتب. وما من شك أنه علينا أن نكره ذواتنا كثيراً كي نكتب نصوصاً عظيمة.

القلب يرغب في المشي، والزكب في النوم.

ما يشعر، من بيننا، بالخجل أكثر، هو معطفنا.

الأصلع يخبئ مشطه.

ثقة في الماء عطشاً.

كل ثعلب غابته.

●●●

د- اذن الحائط

الله يسود من خلال حزن الرثيقة.

الشعر، هذه الخطوة الخاطئة التي يستدرکها خفها.

نكتب جيداً من أجل اعدائنا. وتحت نظرتهم.

غير الخالص خالص إن أخلص لإفرطه.

لذة أن تكون بهيمة. لذة أن تكون لذة.

ثمة كتابات تنسب إلى الخيلاء: القوّارة، القرآن، وكتابات تنسب إلى العذّل: الإنجيل. ففي هذا الأخير، رغم ذلك، يقول الإنسان بأنه الله. ينبغي الاحتراز من المتواضعين.

العين تاكل. الأذن تشرب. ناكل شخصاً ما بالعينين. نشرب كلماته.

●●●

هـ- القصيدة 27

تلك التي ستموت حجر ظفرها منبهراً بالحزن

إشارة النار

ادونيس

يصدر صلاح ستيتية في شعره عن حدس يرى أن اللغة بدئية، كأنما هي قبل الأشياء، أعني أنها لا تعمل وإنما تسمى.

[..] كأن شعر صلاح ستيتية امتداد بالكلمة لفن الخط الإسلامي، أعني للشعر الأرابيسكي، مع فارق وحيد، هو أن الثاني يحيد عن شيئية العالم بحدس ديني، وأن الأول يحيد عنها بوعي التجريد. غير أن الهاجس واحد: إنه هاجس تشكيلي - جمالي.

هكذا نصفه بأنه شعر - هندسة: شكل جميل بذاته ولذاته. وهو، في جماليته هذه، فعّال ودال - مع أنه لا يعكس «واقعاً» ولا يحمل «قضية». والكتابة هنا ليست ترويضاً للغة فحسب، شأن الترويض الذي يمارس على الخطوط، وإنما هي أيضاً إرادة تنظيم وتناغم، إرادة تشكيل جمالي. والقصيدة هنا بنية-نسق. إنها العلم بالجمال، إنها علم الجمال.

* بيروت، في 17 آذار 1982 (من مقدمة ترجمة أدونيس لديوان ستيتية: «الوجود الدمية»، دار الآداب، 1983)

